

نائم فنبهه سيدي أبو العباس فقام من جاء بي إلى هنا فإني كنت في ساحل ساقية أبي شعرة في البحر الشرقي فقالوا له جاء بك هذا السبع يعنون الشيخ رحمته الله فحملوا الخشب في المركبين وساروا رحمته الله.

وكان سيدي الشيخ الصالح محمد العجمي رحمته الله كاتب الربعة العظيمة التي بجامعة بمصر يقول والله لو أدرك الجنيد رحمته الله سيدي أبا العباس رحمته الله لأخذ عنه الطرق وكان رحمته الله لا يمكن حدا صغيرا يمزح مع كبير. ورأى مرة صبيا يغمز رجلا كبيرا فأخرجهما من الجامع ورمى حوائجهما وكان لا يمكن امرداً يؤذن في جامعہ ابدأ حتى يلتحي وعمر رحمته الله عدة جوامع بمصر وقراها وكان السلطان قايتباي يتمنى لقاءه فلم يأذن له، وجاءه مرة ولده السلطان محمد الناصر على غفلة يزوره فلما ولي قال اخذنا على غفلة.

وأحواله كثيرة مشهورة في بلاد الريف وغيرها، وقد رأيتُه مرة واحدة حين نزل إلى بلدنا ساقية أبي شعرة في حاجة وعمره ثمان سنين. مات رحمته الله في صفر سنة خمس وتسعمائة ودفن بأخريات الجامع بمصر المحروسة رضي الله تعالى عنه.

٤ - ومنهم سيدي الشيخ نور الدين الحسنى المديني رضي الله تعالى عنه:

أحد اصحاب سيدي محمد بن أخت سيدي مدين كان رحمته الله من العارفين بالله عز وجل ورأيتُه وأنا صغير وأخذ عنه الشيخ تاج الدين الذاكر بعد أن مات سيدي محمد ابن أخت سيدي مدين وكلاهما كان أخذ عنه وسمع يوماً شخصاً يبيع خشب الشيوخ التي تسرح بها النساء الكتان وهو يقول قفة شيوخ بنصف فضة فأخذ منها معنى وقال قفة شيوخ بنصف فضة وقال قد رخصت الطريق فلم يلحق أحداً بعدها.

حتى مات رحمته الله، كان رحمته الله مرصداً لقضاء حوائج الناس عند الأمراء والحكام، وكان بينه وبين سيدي محمد بن عنان ود عظيم ومؤاخاة رضي الله عنهما.

٥ - ومنهم شيخ الإسلام الشيخ زكريا الأنصاري الخزرجي رحمة الله تعالى أمين:

أحد أركان الطريقين الفقه والتصوف وقد خدمته عشرين سنة فما رأيتُه قط في غفلة ولا اشتغال بما لا يعني لا ليلاً ولا نهاراً، وكان رحمته الله مع كبير سنه يصلي سنن الفرائض قائماً ويقول لا أعود نفسي الكسل وكان إذا جاءه شخص وطول في الكلام يقول بالعجل ضيقت علينا الزمن وكنت إذا أصلحت كلمة في الكتاب الذي

أقرؤه عليه أسمعه يقول بخفض صوته الله الله لا يفتّر حتى افرغ وكنت أتغدى معه كل يوم فكان لا يأكل إلا من خبز الخانقاه وقف سعيد السعداء ويقول واقنّها كان من الملوك الصالحين ووقف وقفها بإذن النبي ﷺ وصنف للصناعات الشائعة في اقطار الأرض.

ولازمت الناس قراءة كتبه لحسن نيته وإخلاصه ولما قرأت شرحه على رسالة القشيري في علم التصوف أشار على بحفظ الروض وكنت حفظت المنهاج قبل ذلك فعرضت عليه وقلت أنه كتاب كبير فقال اشرع وتوكل فإن لكل مجتهد نصيبا فحفظت منه إلى باب القضاء وحصل لي رمى الدم من الحصر في الحفظ فأشار على بالوقوف وقرأت شرحه على الروض إلى باب الجهاد وقرأت عليه تفسير القرآن العظيم للبيضاوي مع حاشيته عليه وحاشية الطيبي على الكشاف وحاشية السيد وحاشية الشيخ سعد الدين التفتاراني وحاشية الشيخ جلال الدين السيوطي إلى سورة الأنبياء وقرأت عليه شرح آداب البحث له وحاشيته على جمع الجوامع وطالعت عليه حال تأليفه لشرح البخاري فتح الباري للحفاظ ابن حجر وشرح البخاري للكرماني وشرحه للعينى الحنفى وشرحه للشيخ شهاب الدين العسقلاني على قدر كتابتي له في شرحه وخطى متميز فيه وأظنه يقارب النصف وكنت إذا جلست معه كأنى جالست ملوك الأرض الصالحين العارفين.

وكان أكبر المفتين بمصر يصير بين يديه كالطفل وكذلك الأمراء والأكابر وكان كثير الكشف لا يخطر عندي خاطر إلا ويقول قل ما عندك ويبطل التأليف حتى افرغ وكنت إذا حصل عندي صداع الحال المطالبة له يقول أنو الشفاء بالعلم فانوية فيذهب الصداع لوقته. وقال لي مرة من صغرى وأنا احب طريق القوم وكان اكثر اشتغالي بمطالعة كتبهم والنظر في احوالهم حتى كان الناس يقولون هذا لا يجيء منه شيء في علم الشرع فلما الفت كتاب شرح البهجة وفرغت منه استبعد ذلك جماعة من الأقران وكتبوا على نسخة منه كتاب الأعمى والبصير تنكيتا على لكون رفيقي في الاشتغال كان ضريرا وكان تأليفي له إلى أن كان فروغه في يوم الاثنين ويوم الخميس فقط فوق سطح الجامع الأزهر وكان وقتي رائقا وظاهري بحمد الله تعالى محفوظا وكنت مجاب الدعوة لا أدعو على أحد إلا ويستجاب

فيه الدعاء فأشار على بعض الأولياء بالتستر بالفقه وقال استر الطريق فإن هذا ما هو زمانها فلم أكد اتظاهر بشيء من أحوال القوم إلى وقتي هذا.

وحكى لي يوماً أمره من حين جاء إلى مصر إلى وقت تلك الحكاية وقال أحكي لك أمري من ابتدائه إلى انتهائه إلى وقتنا هذا حتى تحيط به علماً كأنك عاشرتني من أول عمري فقلت له نعم فقال جئت من البلاد وأنا شاب فلم أعكف على أحد من الخلق ولم أعلق قلبي به وكنت أجوع في الجامع كثيراً فأخرج بالليل إلى قشر البطيخ الذي كان بجانب الميضاة وغيرها فأغسله وآكله إلى أن قبض الله لي شخصاً كان يشتغل في الطواحين فصار يتفقطني ويشترى لي ما احتاج إليه من الكتب والكسوة ويقول يا زكرياء لا تسأل أحداً في شيء ومهما تطلب جنتك به فلم يزل كذلك سنين عديدة فلما كان ليلة من الليالي والناس نيام جاءني وقال لي قم فقممت معه فوقف لي على سلم الوقاد الطويل وقال لي اصعد هذا فصعدت فقال لي اصعد فصعدت إلى آخره فقال لي تعيش حتى يموت جميع أقرانك وترتفع على كل من في مصر من العلماء وتصبح طلبتك شيوخ الإسلام في حياتك حين يكف بصرك فقلت ولا بد لي من العمي قال ولا بد لك ثم انقطع عني فلم أراه من ذلك الوقت ثم تزايد على الحال إلى أن عزم على السلطان بالقضاء فأبیت وقال أن أردت نزلت ماشياً بين يديك أقود بخلتك إلى أن أوصلك إلى بيتك فتوليت وأعانني الله على القيام به ولكن أحسست من نفسي أن تأخرت عن مقام الرجال فشكوت إلى بعض الرجال ما ثم إلا تقديم إن شاء الله تعالى فإن العبد إذا رأى نفسه متقدماً فهو متأخر وإن رأى نفسه متأخراً فهو متقدم فسكن روعي وقال ﷺ ما كان أحد يحملني كما يحملني السلطان قايماً كنت أحط عليه في الخطبة حتى أظن ما عاد قط يكلمني فأول ما أخرج من الصلاة يتلقاني ويقبل يدي ويقول جزاك الله خيراً فلم تزل الحسدة بنا حتى أوقعوا بيننا الواقعة وكان مالمسكا لي الأدب ما كلمني كلمة تسوءني قط ولقد طلعت له مرة فأغلظت عليه القول فاصفر لونه فتقدمت إليه قلت له والله يا مولانا إنما أفعل ذلك معك شفقة عليك وسوف تشكرني عند ربك وإني والله لا أحب أن يكون جسمك هذا فحمة من فحم النار فصار ينتفض كالطير.

وكننت أقول له أيها الملك تنبه لنفسك فقد كنت عدماً فصرت وجوداً وكننت رقيقاً فصرت حراً وكننت مأموراً فصرت أميراً وكننت أميراً فصرت ملكاً فلما

صرت ملكا تجبرت ونسيت مبدالك ومنتهاك إلى آخره. وقال لي كان أخي الشيخ علي النبتيتي يجتمع بالخضر عليه السلام^(١) فباسطه يوما في الكلام فقال للخضر عليه السلام ما تقول في الشيخ يحيى المناوي فقال لا بأس به فقال ما تقول في فلان ما تقول في فلان ما تقول في الشيخ زكريا فقال لا بأس به إلا ان عنده نفسية فلما ارسل لي أخي الشيخ علي الضرير بذلك ضاقت على نفسي وما عرفت الذي أشار إليه بالنفسية فأرسلت إلى سيدي علي النبتيتي الضرير فقلت له إن اجتمعت بالخضر فاسأله من فضلك على ما أشار إليه بالنفسية فلم يجتمع به مدة تسع شهور فلما اجتمع به سأله فقال له إذا أرسل تلميذه إلى احد من الأمراء يقول له قال الشيخ زكريا كيت وكيت فيلقب بالشيخ فلما ارسل لي الشيخ بذلك فكانه حط عن ظهري جبلا وصرت أقول للقاصد إذا أرسلته إلى احد من الأمراء والوزراء قل للأمير او الوزير يقول لك زكريا يا خادم الفقراء كذا وكذا.

وقال لي مرة كنت معتكفا في العشر الأخير من رمضان فوق سطح الجامع الأزهر فجاءني رجل تاجر من الشام وقال لي إن بصري قد كف ودلني الناس عليك تدعو الله أن يرد على بصري وكان لي علاقة في إجابة دعائي فسألت الله أن يرد عليه بصره فأجابني لكن بعد عشرة أيام فقلت له الحاجة قضيت ولكن تسافر من هذا البلد فقال ما هي أيام نقول فقلت له إن أردت أن يرد الله عليك بصرك تسافر وذلك خوفا أن يرد عليه بصره في مصر فيهتكني بين الناس فسافر مع جمال فرد الله عليه بصره في غزة وارسل لي كتابا بخطه فأرسلت أقول له متى رجعت إلى مصر كف بصرك فلم يزل بالقدس إلى أن مات بصيرا وقد البسني الخرقه ولقنني الذكر من طريق سيدي محمد الغمري، وذكر لي أنه سافر إلى الحلة الكبرى فأخذ عنه لبس الخرقه وتلقين الذكر وقرا عليه كتابه المسمى بقواعد الصوفية كاملا قال وكان أصحابه يفرحون بحضوره عنده لأجل سؤالي له المعاني الكلام فإنهم كانوا لا يتجهمون عليه بالسؤال من هيبتة لأنه كان جليل القدر وكان كثير الصدقة م اظن أحدا كان في مصر أكثر صدقة منه كما شاهدته منه ولكن كان يسرها بحيث لا يعلم احدا من الجالسين.

(١) يجوز ذلك منا ما او يقظة فليس هناك دليل على ذلك والخضر كان أيام سيدنا موسى عليه السلام كما حكى القرآن .

وجاءه مرة رجل أسمر وكان شريفاً من تربة قايتباي فقال له يا سيدي
خطبت عمامتي هذه الليلة وكان حاضراً الشيخ جمال الدين الصاني والشيخ أبو بكر
الظاهري جابي الحرمين فأعطاه الشيخ جديداً فرماه في وجه الشيخ وخرج غضبان
منه فأعلمت الشيخ بذلك فقال هو أعمى القلب الذي جاء بحضرة هؤلاء الجماعة.

وكنت يوماً أطلع له في شرح البخاري فقال لي قف اذكر لي ما رأيته في هذه
الليلة وقد كنت رأيت أنني معه في مركب قلعتها حريراً وحبالها حريراً وقرشها
سندس أخضر وفيها أرائك وملكات من حريراً والإمام الشافعي رحمته الله جالس فيها والشيخ
زكريا عن يساره فقبلت يد الإمام الشافعي رحمته الله ولم تزل تلك المركب سائرة بنا حتى
أرست على جزيرة من كبد البحر الحلو وإذا فواكهها مدلاة في البحر فطلعت من
المركب فوجدت بستاناً من الزعفران كل نورة منه كالإبساط العظيمة وفيه نساء
حسان يجنين منه.

فلما حكيت له ذلك قال إن صح منامك يا فلان فإن أدفن بالقرب من الإمام
الشافعي رحمته الله فلما مات أرسلوا هينوا له قبراً في باب النصر فصار الشيخ جمال الدين
والشيخ أبو بكر الظاهري يقولان ما صح منامك يا فلان فبينما نحن في ذلك وإذا
بقاصد الأمير خير بك نائب السلطة بمصر يقول إن ملك الأمراء ضعيف لا يستطيع
الركوب إلى ههنا وأمر أن تركبوا الشيخ على تابوت وتحملوه للأمير ليصلي عليه في
سبيل المؤمنين بالرميلة فحملوه وصلوا عليه فقال أدفنوه بالقرافة فدفنوه عند
الشيخ نجم الدين الخبوشاتي تجاه وجه الإمام الشافعي رحمته الله وذلك في شهر الحجة سنة
ست وعشرين وتسعمائة.

٦ - منهم الشيخ علي النبتيتي الضرير رحمه الله تعالى ورحمته الله:

كان من أكابر العلماء العاملين والمشايخ المكلفين وكانت مشكلات المسائل
ومعضلاتها ترسل إليه من الشام والحجاز واليمن وغيرها فيحل مشكلاتها بعبارة سهلة
وكانت العلماء كلهم تدعن له وكان مقيماً ببلده نبتيت بنواحي الخانقاه
السرياقوسية والخلق تقصده من سائر الأقطار وكان إذا جاء إلى مصر تندلق عليه
الناس يتبركون به وقد اجتمعت به مرات عند شيخنا شيخ الإسلام الشيخ زكريا في
المدرسة الكاملة مرات وحصل لي منه لحظ وجدت بركته في نفسي إلى وقتي هذا